بَابِ حِكَايَة حَالِ النَّاسِ قبلِ الْمِائَة الرَّابِعة وَيَيَانِ سَبَبِ الِاخْتِلَاف بَينِ الْأَوَائِلِ والأواخر فِي الانتسابِ إِلَى مَدْهَبِ مِن الْمذَاهبِ وَعَدَمه وَيَيَانُ سَبَبِ الإِخْتِهَاد فِي الْمَذْهَبِ وَاحِد بِعَيْنِه قَالَ أَبُو طَالِبِ الْمَكِّيّ فِي قوت الْقُلُوبِ إِعلم أَن النَّاسِ كَانُوا فِي الْمِائَة الأولى وَالتَّانِية غير مُجْمِعِينَ على التَّقْلِيد لَمَذْهَبِ وَاحِد بِعَيْنِه قَالَ أَبُو طَالبِ الْمَكِّيّ فِي قوت الْقُلُوبِ إِن الْكتبِ والمجموعات محدثة وَالْقَوْل بمقالات النَّاسِ والفتيا بِمِنْهبِ الْوَاحِد مِن النَّاسِ واتخاذ قَوْله والحكاية لَهُ فِي كل شَيْء والتفقه على مذْهبه لم يكن النَّاسِ قريما على ذَلِك فِي القرنين الأول وَالتَّانِي انْتهي أَقُول وَبعد القرنين حدث فيهم شيْء من التَّحْرِيج غير أَن أهل المئة الرَّابِعة لم يكُونُوا مُجْتَمعين على التَقْلِيد الْخَالِص على مَذْهَب وَاحِد والتفقه لَهُ والحكاية لقَوْله كَمَا يظهر من التبع غير أَن أهل المئة الرَّابِعة لم يكُونُوا مُجْتَمعين على التَقْلِيد الْخَالِص على مَذْهَب وَاحِد والتفقه لَهُ والحكاية لقَوْله كَمَا يظهر من التبع على أَن أهل المئة الرَّابِعة لم يكُونُوا مُجْتَمعين على التَقْلِيد الْخَالِص على مَذْهَب وَاحِد والتفقه لَهُ والحكاية لقَوْله كَمَا يظهر من التبع المُل كَانَ النَّاسِ على دَرَجَتَيْنِ الْعلمَاء والعامة وَكَانَ من خبر الْعَامَة أَنهم كَانُوا فِي الْمُسَائِلِ الإجماعية الَّتِي لَا اخْتِلَاف فِيها بَين المُسلمين أَو بَين جُمْهُور الْمُجْتَهدين لَا يقلدون إلَّا صَاحب الشَّرْع وَكَانُوا يتعلمون صفة الْوضُوء وَالْغسُل وَأَحُكَام الصَلَاة وَالزَّكَاة وَتَعْت لَهُم وَاقَعَة نادرة استفتوا فِيها أَي مفت وجدوا من غير تعْيين مَذْهَب قَالَ ابْن الْهمام فِي آخر التَّحْرِير كَانُوا يستفتون مرّة وَاحِدًا وَمَرَّة غَيره غير ملتزمين مفتيا وَاحِدًا انْتهى وَأَما الْخَاصَة الْعلمَاء فَكَانُوا على مرتبتين